



الخوارج : أولهم الصحابي حرقوص ، وآخرهم السلفية الوهابية والدواعش (6 - 10)

بقلم: رائف محمد الويشي

10 نوفمبر 2014

في الحلقة الأولى من هذه الدراسة ناقشنا الخوارج من حيث المعني ، كما ناقشنا أيضا تمركز دولهم علي مر التاريخ منذ اندحارهم في معركة النهروان في 9 صفر 38 هـ (يوليو 658 م) ..

في الحلقة الثانية ناقشنا تواجد الخوارج في الحديث النبوي ، وهو ما يعني أنهم كانوا متواجدين في حياة النبي (ص) ، ولاحظنا التحذيرات النبوية بشأنهم ..

في الحلقة الثالثة ناقشنا الفتنة التي وقعت في أعقاب مقتل الخليفة الثالث عثمان ثم فتنة معركة الجمل التي تلتها بشهور قليلة ، السبب في ذلك هو أن هاتين الفتنتين تمثلان المرحلة التمهيدية التي ظهر في نهايتها الخوارج ..

في الحلقة الرابعة تحدثنا عن بداية الظهور الجماعي للخوارج في أعقاب معركة الجمل ، ورأينا محاولات الإمام علي (ع) معهم لحقن دماء المسلمين بالحوار معهم بأكثر مما فعل – زمنا وعددا - مع ثلاثي الجمل ..

في الحلقة الخامسة الماضية تحدثنا عن المصاعب الألام التي واجهت الإمام علي (ع) مع جيشه بعد صفين ، فقد أراد له الإمام علي (ع) أن يكون جيشا يؤسس علي الشورى واحترام الإنسان وحرية الكلمة والنقد والمساواة بين القائد وأصغر مرؤوسيه ، لكن الطبيعة البشرية المعرضة استغلت تلك الأخلاق السامية لإحداث فوضى شاملة في الجيش العلوي الثابت علي الحق ..

في الحلقة السادسة اليوم سنتحدث عن الخوارج بعد عودتهم من صفين واستقرارهم بقرية حروراء القريبة من الكوفة حيث يتواجد المسجد العلوي والموالون للإمام علي ..

يقول شيخ الإباضية سالم بن حمد الحارثي – توفي في عام 2006 م - في العقود الفضية في أصول الإباضية (ص 38) ما يلي :
" أنه بعد أن توقف القتال في صفين انفصلت عنه المحكمة (أي الذين نادوا بالتحكيم مع الأشعث) ، وهم ما بين أربعة آلاف وستة وعشرين ألفاً " ..

أمر الإمام علي (ع) الموالين له في الكوفة بعدم التعرض للخوارج في قرية حروراء أو حتى منعهم من الصلاة في المسجد الجامع بالكوفة ، وقد استغل الخوارج تلك الأخلاق السامية الرفيعة الراقية التي تعلمها الإمام (ع) من صاحب الرسالة (ص) بالتواجد في المسجد الكوفي العلوي لإحداث اضطرابات والإنزال من مكانته بين الناس كلما تحدث لفضهم عنه ..

هكذا أوصل الخوارج علاقتهم مع الإمام علي (ع) إلي الحد الذي لم يعودوا فيه أن يتحملوا سماع صوته ، فقد طلبوا منه التصريح بكفره ثم إعلان توبته شرطا لعودتهم إلي صفوفه ، ولما رفض اتهموه بالكذب ونسج القصص الخيالية ، وكان الهدف النهائي لهم هو إسقاطه وتولي السلطة بدلا منه ..

نقل أبو حنيفة الدينوري – توفي في عام 282 هـ - في الأخبار الطوال (ص 191) رد الإمام علي (ع) علي الخوارج الذين طالبوه بإقراره بالكفر ثم التوبة كشرط لرجوعهم غيه ، وكان كما يلي :
" أبعد صحبة رسول الله ، والنفقه في الدين ، أرجع كافراً؟! ثم قال :

يا شاهد الله علي فاشهد
إني علي الدين النبي أحمد
من شك في الله فإني مهتد ..

يذكر ابن أبي حديد – توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 4 ص 470) ما يلي :
" إن علياً كان قد مرّن علي سماع قول الخوارج : أنت كافر ، وقد كفرت " ..

يورد ابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 6 ص 128) خطاباً للإمام علي (ع) للخوارج نقلاً من غارات الثقيفي قال فيه ما يلي :
" والله ، لو أمرتكم ، فجمعتم من خياركم مئة ، ثم لو شئت لحدثتكم إلى أن تغيب الشمس ، لا أخبركم إلا حقاً ، ثم لتخرجن ، فتزعمن :
: أني أكذب الناس وأفجرهم " ..

ويورد ابن أبي حديد في نفس المصدر الخطبة رقم 70 للإمام علي (ع) التي قال فيها للخوارج :
" ولقد بلغني أنكم تقولون : علي يكذب ، قاتلكم الله .. " ..

وفي نص آخر في شرح نهج البلاغة (ج 2 ص 286) يقول الإمام علي (ع) لهم :
" أتراني أكذب على رسول الله ، والله ، لأننا أول من صدقه ، فلا أكون أول من كذب عليه " ..

ويذكر ابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 3 ص 254) مثلاً آخر لتعدي الخوارج لفظياً علي الإمام علي (ع) وإنزال مكانته التي رفعها الله بإذهاب الرجس عنه وتطهيه تطهيراً بما يلي :
" وقف الإمام علي يخطب يوماً ، فقال : إذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليمس أهله ، فإنما هي امرأة كامرأة ، فقال رجل من الخوارج : قاتله الله كافراً ما أفقهه ، فوثب القوم ليقتلوه ، فقال : رويداً إنما هو سب بسب ، أو عفو عن ذنب " ..

قال ابن قدامة الحنبلي – توفي في عام 620 هـ - في المغني (كتاب قتال أهل البغي - مسألة إذا اتفق المسلمون على إمام - فصل إذا أظهر قوم رأي الخوارج) ما يلي :
" روى أبو يحيى ، قال : صلى علي رضي الله عنه صلاة ، فناداه رجل من الخوارج : لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، فأجابه علي رضي الله عنه: فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون " ..

(ملاحظة : ولد موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة في مدينة نابلس في عام 541 هـ ، ودرس الفقه والحديث وأصول المذهب الحنبلي في دمشق وله مؤلفات عديدة ، منها : العمدة ، والمقنع ، والكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، والمغني) ..

الإمام علي (ع) يرفض استخدام المال لاستمالة الخوارج

قدم عدد من أصحاب الإمام علي (ع) اقتراحاً له بتقديم بعض الأموال لقادة الخوارج كي ينتهي تمردهم ، لكن الإمام علي رفض هذا الاقتراح رفضاً قاطعاً ..

يقول ابن قتيبة الدينوري – توفي في عام 276 هـ - في الإمامة والسياسة (ج 1 ص 153) ، وابن أبي حديد – توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 2 ص 203) ما يلي :
" أن طائفة من أصحابه مشوا إليه ، فقالوا: يا أمير المؤمنين ، أعط هذه الأموال ، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب ، وقريش علي الموالي والعجم ، واستم من تخاف خلفه من الناس وفراره.. وإنما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال ، فقال لهم : " أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟ لا ، والله لا أفعل ما طلعت شمس الخ " ..

ويتضح من النصوص السابقة أن الإمام علي (ع) قد صبر إلي حد بعيد مع الخوارج ، وقد أعلن هو نفسه أمام الموالين له عن

سياسته معهم ، وهي أن الحجة تقابلها الحجة ، ولا صدام معهم ما لم يبدووه ..

قال البلاذري – توفي في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 2 ص 352) ، وابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 7 ص 155) ، وابن الأثير – توفي في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 3 ص 334) عن قول الإمام علي (ع) :
" إن سكتوا تركناهم - أو قال : عذرناهم - وإن تكلموا حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم " ..

يذكر البلاذري في نفس المصدر السابق (ج 2 ص 325) ما يلي :
" عن كثير بن نمر ، قال : دخلت مسجد الكوفة عشية جمعة ، وعلي يخطب الناس ، فقاموا (أي الخوارج) في نواحي المسجد يحكمون (أي يرفعون شعار لا حكم إلا لله) ، فقال بيده : هكذا ، ثم قال : " كلمة حق يراد بها باطل ، حكم الله أنتظر فيكم ، أحكم فيكم بكتاب الله ، وسنة رسوله ، وأقسم بينكم بالسوية ، ولا نمنعكم من هذا المسجد أن تصلوا فيه ، ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا " ..

(ملاحظة : علينا أن نكثر النظر في هذه الشروط التي وضعها الإمام علي (ع) لمعارضيه الذين خذلوه بأرض المعركة ولاحقوه في مسجده ينزلون من قدره ، كم راقية تلك الشروط ، أنه يحكم بينهم بالعدل ، وهم الذين ظلموه وكانوا بمثابة خنجر في ظهره ، ولو فعلوا ما فعلوه وقالوا ما قالوه أمام معاوية لكان مصيرهم القتل وربما التمثيل بجثثهم ! ، ولو حدث ذلك أمام عدل حكام الأرض في العصر الحديث لكان مصيرهم إما الخيانة العظمي أو السجن المؤبد !) ..

ذكر ابن أبي شيبعة – توفي في عام 235 هـ - في مصنفه ، والبيهقي – توفي في عام 458 هـ - في سننه ، والمتقي الهندي – توفي في عام 975 هـ - في كنز العمال (ج 11 ص 287) عن أبي عبيد أنه قال ما يلي :
" رووا : أن رجلاً من الخوارج جاء إلى علي ، فقال: يا أمير المؤمنين ، هذا يسبك .. قال : فسبه كما سبني .. قال : ويتوعدك .. قال : لا أقتل من لم يقتلني ، ثم قال: لهم علينا ثلاث : أن لا نمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها ، وأن لا نمنعهم الفيء مادامت أيديهم في أيدينا ، وأن لا نقاتلهم حتى يقاتلونا " ..

لكن الإمام علي (ع) لم يغير من تلك المعاملة الراقية للخوارج حتى بعد معركة النهروان التي انكسرت فيها شوكة الخوارج ولم يبق منهم إلا العشرات المتفرقة ..

ذكر الخطيب البغدادي – توفي في عام 463 هـ - في تاريخ بغداد (ج 14 ص 365) عن أبي خليفة الطائي أنه قال ما يلي :
" لما رجعنا من النهروان لقينا قبل أن ننتهي إلى المدائن أبا العيزار الطائي ، فقال لعدي: يا أبا طريف، أغانم سالم؟ أم ظالم أثم؟ قال عدي (أبو طريف) : بل غانم سالم ..
قال أبو العيزار الطائي : الحكم إذن إليك !
قال الأسود بن يزيد ، والأسود بن قيس المراديان (كانا مع عدي) : ما أخرج هذا الكلام منك إلا شر ، وإنا لنعرفك برأي القوم ، فأخذه، فأتيا به علياً ، فقالا: إن هذا يرى رأي الخوارج ، وقد قال كذا وكذا لعدي..
قال علي (ع) : فما أصنع به ؟!
قالا : تقتله ..
قال علي (ع) أقتل من لم يخرج علي ؟!
قالا : فتحبسه ..
قال علي (ع) : ليست له جناية أحبسه عليها؟! خليا سبيل الرجل " ..

استمرت محاولات الخوارج في الكوفة في ملاحقة الإمام علي (ع) والإنزال من قدره ودعوة الناس بعدم مناصرته لمدة ستة أشهر ، ولم تتوقف محاولات الإمام علي طوال تلك الفترة في دعوتهم بالحسنى وإقناعهم بخطأ موقفهم ..

يقول البلاذري – توفي في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ص 2 ج 353) ، وابن عساكر – توفي في عام 571 هـ - في تهذيب تاريخ دمشق (ج 7 ص 305) عن ابن شهاب الزهري ما يلي :
" خاصمت الحرورية علياً ستة أشهر.. إلى أن قال : فطالت خصومتهم ، وخصومة علي بالكوفة " ..

يقول ابن الطقطقي – توفي في عام 709 هـ - في الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (ص 94) أن الإمام علي (ع) كان يحاول الاتصال بأولئك الذين يعتزمون الالتحاق بالخوارج ، وينهاهم عن ذلك ، ويعظهم بكل قول ، ويبصّرهم بكل وجه ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : ولد ابن الطقطقي في الموصل في عام 660 هـ ، تلقى علوم الدين واللغة ، وألغ بالتاريخ والأدب ، عُرف ابن الطقطقي بالموضوعية في سرد الأحداث وفي تحليلها ولاقى كتابه اهتماماً كبيراً منذ إخراجها إلى الناس ..

الملاحظة الثانية : كان الخشوع الظاهري للخوارج في الصلاة – وهم كانوا متواجدين في المسجد العلوي في الكوفة – أكبر فتنة يتعرض لها الكوفيون ، فكانوا يكثر في تهجدهم وصلاتهم في الليل حتى تورمت أقدامهم ، وعُرف عنهم إصابتهم بالصعقة عند سماع القرآن ، ولا شك أن الإمام علي (ع) كان يدرك حجم تلك الفتنة علي قلوب الموالين له ..
يقول سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص (ص 105) أن الإمام علي (ع) قد مر علي أحد الخوارج في المسجد الكوفي وهو يتهدج فقال : " نوم على يقين خير من صلاة في شك " ..

لكن مناشدات الإمام علي (ع) واحتجاجاته مع مساعديه للخوارج طوال الستة أشهر التي قضوها في الكوفة قد أنزلت عددهم إلي حد بعيد ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : وضع الإمام علي (ع) عدداً من مساعديه للتحدث مع الخوارج وإقناعهم بخطأ موقفهم حقناً لدماء المسلمين ، فكان منهم عبد الله بن عباس ، وقيس بن سعد ، وأبو أيوب الأنصاري ، والبراء بن عازب ، وصعصعة بن صوحان ، وخادمه قنبر ، وقد قال الجاحظ في البيان والتبيين (ج 1 ص 326) ، وابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 3 ص 398) : " أن صعصعة كان أخطب رسل الإمام علي (ع) إذا تكلم الخوارج " ..

الملاحظة الثانية : كان قنبر (أبو همدان) بن حمدان خادماً للإمام علي ، عند الناس كان قنبر لا يعدو خادماً للإمام علي (ع) ، لكن الواقع يقول أن قنبر كان قد نهل من مدينة العلم نهلاً شديداً ، فأصبح عالماً .. كان يحمل لواء الإمام في صفين .. قال فيه الإمام جعفر الصادق : كان قنبر غلام علي ، يُحب علياً حباً شديداً ..

قال الإمام علي (ع) له : " يا قنبر ، إن الله تبارك وتعالى عرض ولايتنا على أهل السموات وأهل الأرض من الجن والإنس والثمر وغير ذلك ، فما قبل منه ولايتنا طاب وطهر وعذب ، وما لم يقبل منه خيب ووديء وشتن " ..

عاش قنبر حتى عاصر الحجاج بن يوسف الثقفي (جزار بني أمية) ، ولم يتحمل الحجاج حياة قنبر وحبه الشديد للإمام علي (ع) فاستدعاه وأمر بقتله عقاباً له علي ذلك ..

سأله الحجاج : مولى من أنت؟ فقال قنبر : أنا مولى من ضرب بسيفين ، وطعن برمحين ، وصلّى القبليتين ، وباع البيعتين ، وهاجر الهجرتين ، ولم يكفر بالله طرفة عين...

سأله الحجاج: ما الذي كنت تلي من أمر علي بن أبي طالب؟ قال قنبر : طنت أوضئه ، قال الحجاج : ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه ؟ فقال قنبر : كان يتلو هذه الآية : " فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين " ، فقال الحجاج : أظنه كان يتلوها علينا ، قال قنبر : نعم ، قال الحجاج : ، فقال ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك ، قال: إذا أسعد وتشقى ، فأمر بقتله ، فقتل وهو يقرأ القرآن ..

يقول ابن عبد ربه – توفي في عام 328 هـ - في العقد الفريد (ج 2 ص 388 / 389) ما يلي :
" أن أمير المؤمنين ناظرهم ، فرجع ستة آلاف ، ثم ناظرهم ابن عباس فرجع منهم ألفان ، وذلك قبل خروجهم إلى النهروان وقيل تأمير الراسبي عليهم ، وبقي أربعة آلاف وكان منهم ألفان في الكوفة يسرون أمرهم " ..

يقول ابن كثير – توفي في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 7 ص 282) ما يلي :
" إن الخوارج كانوا ستة عشر ألفاً ، أو اثني عشر ألفاً ، فناظرهم علي حتى رجعوا معه إلى الكوفة ، وذلك يوم عيد الفطر ، أو الأضحى - شك الراوي - ثم جعلوا يعرضون له في الكلام ، ويسمعونه شتماً ، ثم خرجوا إلى النهروان ، فكان هناك ما هو معلوم " ..

يقول ابن المغازلي المالكي – توفي في عام 483 هـ - في مناقب الإمام علي (ص 407) ما يلي :
" أن علياً قد أمر قنبراً ، فقال لهم : ما نعمتم علي أمير المؤمنين؟! ألم يعدل في قسمتمكم ، ويقسط في حكمكم ، ويرحم مسترحمكم ، لم يتخذ مالكم دولاً؟ ولم يأخذ منكم إلا السهمين اللذين جعلهما الله : سهماً في الخاصة ، وسهماً في العامة " ..

يقول أبو جعفر بن محمد الإسكافي - توفي في عام 336 هـ - في المعيار والموازنة (ص 194) ما يلي :
" لما رجع علي إلى الكوفة ، لم يدخل معه أصحاب البرانس ، واعتزلوه ، وأتوا حروراء ، ونزل بها منهم اثنا عشر ألفاً " ..

ويضيف الإسكافي في نفس المصدر (ص 198-201) ما يلي :

" إن علي بن أبي طالب خرج إلى الخوارج ، فأتى فسطاط يزيد بن قيس ، فدخله ، فتوضأ فيه ، وصلى ركعتين ، ثم خرج حتى انتهى إليهم ، وهم يخاصمون ابن عباس ، فقال علي لابن عباس : انته عن كلامهم ، ألم أنهك ، رحمك الله ؟!
ثم تكلم علي ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : إن هذا مقام من فتح الله فيه ، كان أولى بالفتح يوم القيامة ن ومن نطق فيه وأوعب ، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ..

ثم قال لهم : من زعيمكم ؟

قالوا : ابن الكواء ..

قال علي : فما أخرجكم من حكمنا ؟

قالوا : حكومتكم يوم صفيين ..

قال علي : نشدتمكم بالله ، أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم : نجيبهم إلى كتاب الله ، قلت لكم : إنني أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين ، ولا قرآن ، فإني قد صحبتهم ، وعرفتهم أطفالاً ورجالاً ، فكانوا شر أطفال ، وشر رجال. امضوا على حكمكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعة ، ووهنا ، ومكيدة ، فرددتم علي رأيي ، وقلتم : لا بل نقبل منهم ..
فقلت لكم : اذكروا قولي ، ومعصيتكم إياي ، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن ، فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في الكتاب ، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء ..
فهل قام إلي رجل ، فقال : يا علي ، إن هذا الأمر أمر الله ، فلا تعطه القوم ؟

قالوا : لا .. فأخبرنا ، أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟

قال علي : إنا لسنا الرجال حكماً ، وإنما حكماً القرآن ، وهو خط مسطور بين لوحين ، لا ينطق حتى يتكلم به الرجال ، وأنتم حكمتم أبا موسى ، وجنتموني ، وأنتموني به مبرنساً ، وقلتم : لا نرضى إلا به ، ومعاقبة حكم عمرو ؟ " وأخبرني عنك يا ابن الكواء ، متى سمي أبو موسى حكماً ، أحين أرسل ، أم حين حكم ؟

قال ابن الكواء : حين حكم ..

قال علي : فقد سار وهو مسلم ، وأنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله

قال ابن الكواء : نعم ..

قال علي : فلا أرى الضلال في إرساله ، إذ كان عدلاً ..

قالوا : فخبّرنا عن الأجل لم جعلته بيننا وبينهم ؟

قال علي : ليتعلم الجاهل ، ويتبنت العالم ، ولعل الله أن يصلح في تلك المدة بين الأمة .. رأيتم ، لو أن رسول الله أرسل رجلاً مؤمناً يدعو قوماً مشركين إلى كتاب الله ، فارتد على عقبه كافرين ، كان يضر النبي صلى الله عليه شيئاً؟

قالوا : لا ..

قال علي : فما ذنبي ، إن ضل أبو موسى ، ولم أرض بحكومته إذ حكم ، ولا بقوله إذ قال ..

قالوا : أفرأيت كتابك باسمك واسم أبيك ، وتركك اسمك الذي سماك الله به بإمرة المؤمنين ..

قال علي : على يدي دار مثل هذا الحديث ، كتب النبي : هذا كتاب من محمد رسول الله ، وقال أبو سفيان ، وسهيل بن عمرو : لا نقر ولا نعرف أنك رسول الله ، لقد ظلمناك إذاً إن شهدنا أنك رسول الله ، ثم قاتلناك ، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك ، فقال رسول الله اكتب من محمد بن عبد الله ، فإن ذلك لا يضر نبوتي شيئاً ، فكتبها رسول الله لأبائهم ، وكتبتها أنا لأبنائهم ..

قالوا : صدقت ، ولكن بقيت خصلة ، إنا قد علمنا أنك لم ترض بحكمهم حتى شككت ، وكتبت في كتابك : إن جرني كتاب الله إليك

تبعتك ، وإن جرك إلي تبعنتي ، تعطي هذا القول وقد خاضت خيلنا في دمائهم؟! وما فعلت هذا حتى شككت ..

قال علي : نبنني أنت ومن معك أولى بأن لا تشكوا في دينكم أم المهاجرون والأنصار؟ أما أنا أولى بالشك أم معاوية ؟

قال ابن الكواء : النبي أولى باليقين منك .. وأهل الشام خير من مشركي قريش ، والمهاجرون والأنصار خير منا ..

قال علي : أفرأيت الله حين يقول لرسوله : " قل : فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه إن كنتم صادقين " ، أشك النبي (عليه

السلام) فيما هو عليه حين يقول هذا؟ أم أعطاهم إنصافاً؟!!

قال ابن الكواء : خصمتنا ورب الكعبة ، وأنت أعلم منا بما صنعت ..

قال علي : ادخلوا مصركم رحمكم الله .. " ..

جرائم الخوارج في القتل تضع حداً لصبر الإمام علي (ع)

علمنا من الفقرات السابقة كيف صبر الإمام علي (ع) علي الخوارج بعد عودته من صفين للكوفة ، فقد قاطعوه في خطبه ، وسبوه وبعثوه بالكفر في وجهه ، رغم كل ذلك أصرّ الإمام علي (ع) – طبقاً لما أورده حديث البلاذري وحديث ابن أبي شيبه علي أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ، ويقسم بينهم بالسوية ، ولا يمنعهم من المسجد الذي يصلي فيه ، ولا يقاتلهم حتى يقاتلوه ..

ارتكب الخوارج الخطأ الفادح عندما ارتكبوا جرائم قتل بحق الناس في الطريق العام ، فسقط الشرط الأخير الضامن لمهادنتهم ، وحاول الإمام علي (ع) رغم نفاذ صبره أن يحاصر الحدث بأن طلب منهم تسليمه القتلة ، إلا أنهم رفضوا وادعوا أن جميعاً قد شاركوا في تلك الجرائم ، هكذا أغلقوا باب الحوار وظنوا أن صبر الإمام (ع) ناتج من مركز ضعف ووهن ..

قال ابن قتيبة الدينوري الشافعي – توفي في عام 276 هـ - في الإمامة والسياسة (ج 1 ص 146) ، وابن كثير – توفي في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 7 ص 288) ما يلي :

" بينما هم يسيرون ، فإذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له ، فعبروا إليه الفرات ، فقالوا له : من أنت؟ قال : أنا رجل مؤمن ..

قالوا : فما تقول في علي بن أبي طالب؟

قال : أقول: إنه أمير المؤمنين ، وأول المسلمين إيماناً بالله ورسوله ..

قالوا : فما اسمك؟

قال : أنا عبد الله بن خباب بن الأرت ، صاحب رسول الله ﷺ ..

قالوا : أفز عنك؟

قال : نعم ..

قالوا : لا روع عليك ، حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من رسول الله ، لعل الله ينفعنا به ..

قال : نعم ، حدثني عن رسول الله (ص) ، أنه قال : ستكون فتنة بعدي ، يموت فيها قلب الرجل ، كما يموت بدنه ، يمسي مؤمناً ، ويصبح كافراً ..

قالوا : لهذا الحديث سألتك ، والله ، لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً ، فأخذه وكتفوه ، ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم ، حتى نزلوا تحت نخل ، فسقطت رطبة منها ، فأخذها بعضهم ، ففذفها في فيه ..

فقال له أحدهم : بغير حل ، أو بغير ثمن أكلتها؟ فألقاها من فيه ، ثم اخترط بعضهم سيفه ، فضرب به خنزيراً لأهل الذمة ، فقتله ..

قال له بعض أصحابه: إن هذا من الفساد في الأرض ! فلقي الرجل صاحب الخنزير ، فأرضاه من خنزيره ..

فلما رأى منهم عبد الله بن خباب ذلك ، قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى ، ما علي منكم بأس ، والله ، ما أحدثت حدثاً في الإسلام ، وإني لمؤمن ، وقد أمنتوني ، وقلتم : لا روع عليك ..

فجاءوا به ، وبامرأته ، فأضجعوه على شفير النهر ، على ذلك الخنزير ، فدبحوه ، فسال دمه في الماء ، ثم أقبلوا علي امرأته ..

فقال: إنما أنا امرأة ، أما تتقون الله؟

فبقرها بطنها ، وقتلوا ثلاث نسوة ، فيهن أم سنان ، قد صحبت النبي ..

فبلغ علياً خبرهم ، فبعث إليهم الحارث بن مرة ، لينظر فيما بلغه من قتل عبد الله بن خباب والنسوة ، ويكتب إليه بالأمر ، فلما انتهى

إليهم ليسألهم ، خرجوا إليه فقتلوه ..

فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، تدع هؤلاء القوم ورائنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا سيرنا إليهم ، فإذا فرغنا منهم نهضنا إلى عدونا

من أهل الشام " ..

(ثلاث ملاحظات : الملاحظة الأولى : الخباب بن الأرت – والد عبد الله – كان من السابقين في الإسلام ، ولد في قبيلة تميم ، وأسر في مكة ، فاشترته أم أنمار بنت سبياع ودربته علي صناعة السيوف ، فكان يبيعه ويأكل من عمل يده ، فلما سمع عن الإسلام أسرع إلى النبي (ص) وأسلم قبل أن يدخل رسول الله (ص) دار الأرقم وقيل أن ترتيبه في الإسلام كان السادس .. تعرض خباب علي أيدي أم أنمار لثنتي ألوان العذاب ، لكنه تحمل وصبر في سبيل الله ، فقد كانت تضع الحديد المحمي على جسده فما يطفئ النار إلا الدهن الموجود في ظهره ..

يروى البخاري بسنده عن خباب أنه قال : كنت قتيلاً بمكة ، فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً ، فجنبت ألقاضاه ، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بعمد. قلت: لا

أَكْفَرُ بَعْدَ حَتَّى يَمِيتَكَ اللهُ ثُمَّ يَحْيِيكَ ، قَالَ : إِذَا أَمَاتَنِي اللهُ ثُمَّ بَعَثَنِي وَلِي مَالٍ وَوَلَدٌ ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَاتِ مَرْيَمَ رَقْمَ 77 ، 78 : أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ..
توفي خباب بن الأرت في الكوفة في عام 37 هـ عن عمر يبلغ 73 عاما وصلي عليه الإمام علي (ع) حين منصرفه من صفين ..

الملاحظة الثانية : روي ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب (ج 3 ص 188) أن عبد الله بن خباب كان عاملا للإمام علي (ع) بالمدائن ، بينما ذكر المسعودي في مروج الذهب (ج 2 ص 404) أن عبد الله بن خباب كان عاملا للإمام علي (ع) بالنهروان ، وربما لا يوجد تعارضا بين المصدرين ، فقد يكون قد أنهى ولايته في المدائن ، وفي النهروان حيث عمله الجديد اعترضه الخوارج مع امرأته وخدمته ومن معهم وقتلوه ..

الملاحظة الثالثة : أورد ابن الأثير في الكامل في التاريخ (ج 5 ص 47) نصا لعمر بن عبد العزيز يؤكد فيه علي أن خوارج البصرة هم من قتلوا عبد الله بن خباب ومن معه حين احتج علي الثنين من الخوارج : فأخبراني عن أهل النهروان ، وهم أسلافكم ، هل تعلمان أن أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً ، ولم يأخذوا مالاً . وأن من خرج إليهم من أهل البصرة قتلوا عبد الله بن خباب وجاريتيه ، وهي حامل؟! قالوا : نعم ..

قال ابن الصباغ المالكي – توفي في عام 855 هـ - في الفصول المهمة (ص 90) ما يلي :
" رأي أن يدعهم ، ويمضي بالناس ويمضي بالناس إلى أهل الشام ، فيناجزهم ، فقام في أهل الكوفة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن من ترك الجهاد ... فينما علي معهم في الكلام ، أتاه الخبر : أن الخوارج خرجوا على الناس ، وأنهم قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت ، صاحب رسول الله ، وبقروا بطن امرأته وهي حامل ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أم سنان ، فلما بلغ علياً ذلك بعث إليهم الحرث بن مرة العبدي ليأتيهم وينظر صحة الخبر فيما بلغه عنهم ، ويكتب به إليه ، ولا يكتمه شيئاً من أمرهم ، فلما دنا منهم ، وسألهم قتلوه ، وأتى علياً الخبر بذلك وهو بمعسكره ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، على ما ندع هؤلاء وراءنا يخلفونا في أموالنا وعيالنا؟! سر بنا إليهم ، فإذا فرغنا منهم سرنا إلى أعدائنا من أهل الشام " ..

(ملاحظة : ولد ابن الصباغ المالكي في عام 784 هـ في مكة ونشأ بها ، تخصص في فقه المذهب المالكي ، له عدة مؤلفات منها : الفصول المهمة لمعرفة الأئمة وهم اثنا عشر ، العبر فيمن سفه النظر) ..

يقول ابن قتيبة الدينوري الشافعي في الإمامة والسياسة (ج 1 ص 157) ، والبلاذري – توفي في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 2 ص 367) خطبة للإمام علي في هذا الشأن ، منها ما يلي :
" حتى إذا عاثوا في الأرض مفسدين وقتلوا المؤمنين أتيناهم فقلنا لهم : ادفعوا إلينا قتلة إخواننا ، فقالوا: كلنا قتلهم ، وكلنا استحللنا دماءهم ودماءكم ، وشدت علينا خيلهم ورجالهم ، فصرعهم الله مصارع القوم الظالمين ، ثم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم ، فإنه أفرع لقلوبهم ، وأنهك لمكرهم ، وأهتك لكيدهم ، فقلتم " ..

أورد أحمد – توفي في عام 241 هـ - في مسنده (ج 1 ص 86) ، وابن عساكر – توفي في عام 571 هـ - في تهذيب تاريخ دمشق (ج 7 ص 305) ، وابن كثير – توفي في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 7 ص 281) قول عبد الله بن شداد الذي شارك في النهروان إلى جانب الإمام لأم المؤمنين عائشة عندما عاد إلى المدينة وقص عليها ما جري ، فكان مما قاله:
" والله ، ما بعث إليهم حتى قطعوا الطريق ، وسفكوا الدماء ، وقتلوا ابن خباب ، واستحلوا أهل الذمة " ..

أورد المتقي الهندي – توفي في 975 هـ - في كنز العمال (ج 11 ص 271) حديثا علي لسان الخوارج أنفسهم يحتجون فيه علي جرائم القتل التي ارتكبتها جماعة منهم ، وهو ما ساعدت تلك الجرائم في رجوعهم إلى صف الإمام ، فجاء علي لسانهم :
" ساروا حتى قطعوا النهروان وافتترقت منهم فرقة يقتلون الناس ، فقال أصحابهم : ما على هذا فارقنا علياً ، فلما بلغ علياً صنعهم" ..

يذكر المسعودي – توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 2 ص 405) مفارقة هامة تبين طبيعة الخوارج ، وهي أنهم لم يكونوا يقتلون إلا المسلمين ، وهو ما حدى بالإمام علي – بعد أن قتلوا رسوله – أن يرسل لهم برسول آخر من غير المسلمين ، وكان يهوديا ، فطلب منهم أن يبعثوا إليه بقتلة إخوانه ، ثم يتركهم إلى أن يفرغ من معاوية ، فحمل اليهودي رسالتهم إلى الإمام ، وجاء فيها – كما نص المسعودي – ما يلي : فبعثوا إليه : " كلنا قتلة أصحابك ، وكلنا مستحل لدمائهم ، مشتركون في قتلهم " ..

في الحلقة القادمة - إن شاء الله - سواصل الحديث ، فإلي لقاء ..

رائف محمد الويشى

سانت لويس – ميزورى - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com